

رابعة بنت إسماعيل

هى رابعة العدوية الشامية زوج أحمد بن أبى الحوارى - كان أبو سليمان الداراني أستاذه -

✽ كانت لرابعة أحوال شتى

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة أحوال شتى فمرة يغلب عليها الحب .

ومرة يغلب عليها الأتس .

ومرة يغلب عليها الخوف .

سمعتها تقول فى حال الحب :

حبيب ليس يعدله حبيب ولا لسواه فى قلبى نصيب

حبيب غاب عن بصرى وشخصى ولكن عن فؤادى ما يغيب

وسمعتها فى حال الأتس تقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجلوس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى حال الخوف تقول :

وزادى قليل ما أراه مبلغى أللزاد أبكى أم لطول مسافتى ؟

أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى فىك ؟ أين محبتى ؟

محبتى : مخافتى

✽ حب الإخوان

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

تقول رابعة :

إني لأضن - أبخل - باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن .

وربما قلت لها :

- أصائمت أنت اليوم ؟

فتقول :

- ما مثلى يفطر فى الدنيا .

وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا فى أثر العبادة .

فقلت رابعة بنت إسماعيل لزوجها أحمد بن أبى الحوارى :

- لست أحبك حب الأزواج ، إنما أحبك حب الإخوان ، وإنما رغبت فىك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مالى مثلك ومثل إخوانك .

❖ إذا اغتممت منها زادت

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى - أبو سليمان الداراني - أستاذ زوجى أحمد بن أبى الحوارى فشكا أحمد بن أبى الحوارى إلى أبى سليمان ذات يوم الوسواس فقال :

- إننى أرى ذلك قد غمك يا أبا الحسن ، إن أردت أن ينقطع عنك - الوسواس - فإن أحسست بها فافرح بها ، فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك ، فإنه ليس شىء أبغض إليه - الشيطان - من سرور المؤمن ، وإن اغتممت منها - الوسواس - زادت .

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

سأل المعلم ذات يوم تلميذه :

- يا أحمد : من أى وجه أزال العاقل اللاتمة عمن أساء إليه ؟

قال أحمد بن أبى الحوارى :

- لا أدرى .

قال أبو سليمان الداراني :

- من أنه علم أن الله تعالى هو الذى ابتلاه به .

يقول أحمد بن أبى الحوارى :

كانت لرابعة بنت إسماعيل سبعة آلاف درهم فأنفقتها على .

وكانت إذا طبخت قدرا قالت :

- كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسييح .

وقالت لى :

- لست أستحل أن أمنعك نفسى وغيرى ، اذهب فتزوج .

فتزوجت ثلاثا .

وكانت رابعة بنت إسماعيل تطعمنى اللحم وتقول :

- اذهب بقوتك إلى أهلك .

وكنت إذا أدت جماعها نهارا قالت :

- أسألك بالله لا تفطرنى اليوم .

وإذا أردتها بالليل قالت :

- أسألك بالله لما وهبتنى لله الليلة .

❖ إذا سمعت الأذان

يقول تلميذ أبى سليمان الداراني :

سمعت رابعة بنت إسماعيل تقول :

ما سمعت الأذان إلا ذكرت منادى القيامة .

ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصحف .

ولا رأيت الجراد إلا ذكرت الحشر .

وقال أحمد بن أبي الخوارى :

سمعت رابعة تقول :

ربما رأيت الجن يذهبون ويجيئون ، وربما رأيت الحور العين يستترون منى
بأكمامهن . وأشارت بيدها على رأسها .

ويقول أحمد بن أبي الخوارى :

- دعوت رابعة فلم تجبني .

فلما كان بعد ساعة أجابتنى وقالت :

- إنما منعنى من أن أجيبك أن قلبى قد كان امتلاً فرحاً بالله ، فلم أقدر أن
أجيبك .

❖ أتخبين الموت ؟

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الداراني ذات يوم لأم أمير المؤمنين هارون الرشيد :

- أتخبين الموت ؟

قالت :

- لا .

قال أبو عبد الرحمن :

- لم ؟

قالت أم الرشيد :

- لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه .. فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

فقال أبو سليمان الداراني :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلدا

* أين السمكة ؟

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو سليمان الداراني :

رأيت صيادا يصطاد السمك على بعض السواحل وإلى جنبه ابنة صغيرة له ، وكلما اصطاد سمكة وضعها في دوحلة - الدوخلة : بفتح الدال والحاء وتشديد اللام ويجوز تخفيفها : وعاء من خوص كالزنبيل يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما - معه ، وكانت ابنته كلما وضع سمكة في الدوخلة ردتها إلى الماء ، فالتفت الصياد فلم ير شيئاً في الدوخلة .

فقال الصياد لابنته :

- أي شيء عملت بالسمك ؟

ف قالت :

- يا أباي أليس سمعتك تروى عن النبي ﷺ أنه قال : لا تقع سمكة في شبكة إلا

أغفلت عن ذكر الله ؟

فلم أحب أن نأكل شيئاً غفل عن ذكر الله تعالى .

يقول أبو عبد الرحمن :

فبكى الصياد ، ورمى بالصنارة .

* الأنس بالله

تقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أحمد بن أبي الخوارى :

انقطع إلى الله وكن عابداً زاهداً صادقاً متوكلاً مستقيماً عارفاً ذاكراً مؤنساً مستحباً خائفاً راجياً راضياً .

وعلاوة الرضا : أن لا يختار شيئاً إلا ما يختاره له مولاه ، فإذا كان ذلك كذلك كان له من الله عوناً حتى يرده إلى طاعته ظاهراً أو باطناً ، ولا يكون العبد تائباً حتى يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويرد المظالم فيما بينه وبين الناس ، ويجتهد فى العبادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهد ، ثم يتشعب له من الزهد الصدق ، ثم يتشعب له من الصدق التوكل ، ثم يتشعب له من التوكل الاستقامة ، ثم يتشعب له من المعرفة الذكر ، ثم يتشعب له من الذكر الخلوة والتلذذ ، ثم بعد التلذذ الأنس ، ثم بعد الأنس بالله الحياء ، ثم بعد الحياء الخوف .

وعلاوة الخوف : الاستعداد والتحويل من هذه الأحوال ، لا يفارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه .

✽ فى سفر التوراة الرابع

وتقول رابعة بنت إسماعيل :

قال أبو الحسن :

قرأت فى سفر التوراة الرابع أن الله تعالى يقول :

أنا الله لا إله إلا أنا عيني على كل شيء ، أرى النمل فى الصفا وأرى وقع الطير فى الهواء .

وأعلم ما فى القلب والكلى .

وأعطى العبد على ما نوى .

أى شيء يقال لمثلنى ومثلك ؟

وقرأ أبو الحسن فى بعض الكتب أن الله عز وجل أوحى إلى موسى وعيسى

عليهما السلام :

يا موسى وعيسى : من أجل دنيا دنيئة وشهوة رديئة تفرطان فى طلب الآخرة ؟

يا موسى ويا عيسى : حتى متى أطيل النسيئة وأحسن الطلب ؟

النسيئة : أنسا أجله : أخره ، ينسا : يؤخر .

* قالوا عن أحمد بن أبى الحوارى :

تقول رابعة بنت إسماعيل :

* قال الجنيد بن محمد بن الجنيد :

- أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام .

* وقال يحيى بن معين لما ذكر أحمد بن أبى الحوارى :

- أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به .

* وقال محمود بن خالد :

- ما أظنه بقى على وجه الأرض مثله .

* من أقوال أحمد بن أبى الحوارى

تقول رابعة بنت إسماعيل :

كان أبو الحسن يقول :

* من كانت نيته العافية ملاً الله حضنه العافية .

* من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه .

* لا دليل على الله سواه ، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة .

* من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر

رضاه ، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور .

* إذا حدثتك نفسك بترك الدنيا عند إدبارها فهو خدعة ، وإذا حدثتك نفسك

بتركها عند إقبالها فذاك .

- * سبحانه من لا يمنعه عظيم سلطانه أن ينظر فى صغير سلطانه .
- * من كانت همته فى أداء الفرائض لم يكمل له فى الدنيا لذة .
- * قال الله تعالى : لو أن ابن آدم لم يرج غيرى ما وكلته إلى غيرى .
- * خف الله يلهمك ، واعمل له لا يلجئك إلى دليل .
- * قيل لموسى عليه السلام : يا موسى : إنما مثل كتاب أحمد عليه السلام فى الكتب بمنزل وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت ربدته .
- * إذا دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر .
- قنعت بعلم الله ذخرى وواجدى بمكتوم أسرار تضمنها قلبى
فلو جاز ستر الستر بينى وبينه إلى القلب والأحشاء لم يعامها سرى
- * إن الله إذا أحب قومًا أفادهم فى اليقظة والمنام .
- * الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها - المزبلة - حاجته وينصرف ، والمحب لها - الدنيا - لا يزالها - لا يتركها - بحال .
- * من أحب أن يعرف بشئ من الخير أو يذكر به فقد أشرك فى عبادته ، لأن من عبد على المحبة لا يحب أن يرى خدمته سوى مخدومه .
- * كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع .

المراجع

obeikandi.com

المراجع

- * القرآن العظيم
- * الجامع لأحكام القرآن
- * تفسير الطبري
- * تفسير القرآن العظيم
- * كنز العمال
- * أعلام النساء
- * صفة الصفوة
- * رابعة العدوية
- * تاريخ ابن خلكان
- * صغار الصحابة وكبار التابعين
- * صحيح البخاري
- * المعجم الكبير
- * شعب الإيمان
- * سنن أبي داود
- القرطبي
- ابن كثير
- الهندي
- محمد رضا كحالة
- ابن الجوزي
- عبد العزيز الشناوي
- عبد العزيز الشناوي
- الطبراني
- البيهقي

* الجامع الصحيح

الترمذى

* مروج الذهب

المسعودى

* مواقف ومواعظ من حياة التابعين

عبد العزيز الشناوى

* السنن الكبرى

البيهقى

* صحيح ابن حبان

* المسند

الإمام أحمد